كيف تحَكّم الغرب بالعالم عبر أساطير زائفة؟

الوفاق
ناصر سعيد
كاتب ومحلّل فلسطيني

بعد الحرب العالمية الثانية، ظهر نظام دولي بُني على أكاذيب ممنهجة صنعتها وروجتها القوى الغربية لترسيخ هيمنتها على العالم. هذه الأكاذيب لم تكن عابرة، بل أساطير متجذرة ساهمت في خلق واقع مزيف تم فرضه سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا على الشعوب. يستكشف هذا المقال بعمق وتفصيل كيف استخدمت القوى الغربية سرديات زائفة حول التفوق الحضاري وحقوق الإنسان والسوق الحرة والديمقراطية والسلام كأدوات لتحقيق مصالحها وإدامة سيطرتها العالمية.

أكذوبة التفوق الحضاري لم تكن سردية «التفوق الحضاري الغربي» مجرد اعتزاز بالمنجزات العلمية أو الثقافية، بل غطاءً لأفعال استعمارية همجية شملت الإبادة والعبودية والقمع الوحشي.

الأمثلة التاريخية واضحة

الاستعمار البريطاني ارتكب فظائع في كينيا والهند، والاستعمار الأمريكي تسبب في إبادة جماعية في الفلبين. الناقد جورج مونبيوت والمفكر ديلان رودريغيز يشيران إلى أن هذه الجرائم تم تزييفها أو محوها عمدًا لتصوير الغرب بأنه منقذ ومُحرّر.

حقوق الإنسان كقناع سياسي من المفارقات الكبرى في النظام الدولي أن حقوق الإنسان أصبحت سلاحًا سياسيًا انتقائيًا. الغرب يرفع لواء حقوق الإنسان حين يخدم ذلك مصالحه، لكنه يتجاهلها تمامًا عندما يتعلق الأمر بانتهاكات حلفائه. تظهر ازدواجية المعايير بوضوح في التعامل مع الأزمة الأوكرانية مقارنة بالقضية الفلسطينية، مما يفقد هذا المفهوم السامي معناه الحقيقي في عيون الكثيرين. وهم السوق الحرة والنظام الاقتصادي العالمي تأسست مؤسسات «بريتون وودز» مثل صندوق النقد والبنك الدولي بعد الحرب العالمية الثانية على وعد بالرخاء للجميع عبر السوق الحرة. لكن الواقع أثبت أن هذه المؤسسات خدمت الهيمنة الاقتصادية الغربية أكثر مما خدمت التنمية العالمية. فسياسات «التكيف الهيكلي» أدت إلى أضرار جسيمة في إفريقيا وغيرها، ما أكدته الكاتبة «أروندتي روي» في تحليلها لهيمنة الشركات العابرة للحدود.

الديمقراطية الغربية

كذبة الاختيار الحر في الديمقراطيات الغربية التي تُقدم كنماذج مثالية، يكشف الواقع عن نفوذ هائل للمال السياسي والمصالح الخاصة. لقد حذر الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر من تحول الديمقراطية إلى «أوليغاركية»، فيما أظهرت دراسات مثل تلك الصادرة عن جامعة برينستون أن النخبة المالية هي من تتحكم بالقرارات. أما على المستوى الدولي، فقد دعم الغرب بوضوح انقلابات عسكرية ضد حكومات منتخبة ديمقراطيًا في إيران وتشيلي وغيرها.

السلام والأمن الدولي كذرائع للحرب

استخدمت القوى الكبرى شعارات «السلام» و«الأمن الدولي» لتبرير حروب مدمرة. حروب العراق وليبيا وأفغانستان وغزة تشهد على زيف هذه الادعاءات. تقارير لجنة تشيلكوت والتحقيقات الاستقصائية حول غزو العراق تثبت بوضوح أن مبررات هذه الحروب كانت مبنيةً على أكاذيب متعمدة، كما بيّن الباحث «ميكا زينكو» في حديثه عن التدخل في ليبيا.

انهيار أكاذيب الهيمنة اليوم، بفضل انتشار الإعلام البديل ومنصات التواصل الاجتماعي، بدأت هذه الأكاذيب تتصدع أمام أعين العالم. ظهور قوى عالمية جديدة مثل الصين وروسيا ومجموعة بريكس يسهم في كشف زيف النظام القديم ويقدم روايات بديلة تكشف التناقضات الغربية. من حركات إسقاط التماثيل الاستعمارية إلى الاعتذارات الرسمية، يشهد العالم ولادة وعي جديد قد يضع نهاية لهيمنة الأكاذيب الغربية.

شعب اليمن.. ٨٠ عامًا من الصمود إلى جانب فلسطين

أحمد حاجي صادقيان

نشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي تقريرًا للخبير في الشؤون الإقليميّة واليمنيّة السيد أحمد حاجي صادقيان، والذي يسلّط فيه الضوء على الجذور التاريخية لدعم الشعب اليمني للمقاومة الفلسطينية، والأدوار التي أدّتها حكوماته المختلفة عند محطات تاريخية مصيرية، منذ ما قبل احتلال فلسطين حتى يومنا هذا مع معركة إسناد غزة بوجه العدوان الصهيوني الوحشي المستمر عليها منذ عملية «طوفان الأقصى».

الجذور التاريخية لدعم الشعب اليمني للمقاومة الفلسطينية

منذ بداية الاحتلال البريطاني، شكّلت قضية فلسطين أحد الملفات الإقليمية والدولية المهمة بالنسبة إلى المجتمع اليمني. لقد كان اليمنيون، من منظورَيْهم العربي والإسلامي، دائمًا على درجة عالية من الحساسية تجاه تطورات القضية الفلسطينية، وهو ما جعل مختلف الحكومات اليمنية على مدار المئة عام الماضية تبدي اهتمامًا خاصًا وتتحرك بفعالية حيال هذه القضية.

معارضة تأسيس الكيان الصهيوني منذ اليوم الأول

كانت «المملكة المتوكلية اليمنية» بقيادة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (١٩٤٨–١٩٦٢) من بين الدول العربية التي اتخذت موقفًا واضحًا ضد المشروع الصهيوني وتأسيس «إسرائيل». رغم البعد الجغرافي لليمن عن فلسطين، فقد رأى الإمام أحمد، من منطلق ديني وتاريخي وهويّاتي، أنه ملتزم بدعم القضية الفلسطينية، واتخذ خطوات في هذا الاتجاه.

كانت «المملكة المتوكلية اليمنية» من أوائل الدول التي أعلنت رسميًا معارضتها لاعتماد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧. لقد عدّ اليمن، إلى جانب الدول العربية الأخرى، أن خطة التقسيم تشكل انتهاكًا للحقوق التاريخية والدينية للشعب الفلسطيني. تُظهر الوثائق الرسمية للأمم المتحدة أن ممثل اليمن، محمد الأكوع العمري، أعلن في جلسات الأمم المتحدة أن اليمن لن تعترف أبدًا بكيان «إسرائيل».

أدّى اليمن دورًا فاعلًا ضمن إطار «الجامعة العربية» في إدانة الأنشطة الصهيونية. لقد وجّه الإمام أحمد بن يحيى، في مراسلات رسمية عدة مع القادة العرب، دعوات إلى الوحدة الإسلامية لمواجهة خطر الصهيونية. في عام ١٩٥٢، وجّه رسالة إلى ملك السعودية طالب فيها باتخاذ موقف حاسم ضد وجود «إسرائيل» في المنطقة».

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن «المملكة المتوكلية اليمنية» قدّمت دعمًا عسكريًا للفصائل الفلسطينية في خمسينيات القرن الماضي، ورغم أن القدرات العسكرية لليمن آنذاك كانت محدودة، ولكنّ هذا الدعم كان يحمل طابعًا رمزيًا. مع ذلك، أسهمت المواقف السياسية لليمن في تعزيز مكانة القضية الفلسطينية داخل الأوساط العربية. على وجه الخصوص، بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، اتخذ اليمن مواقف أكثر حدة ضد «إسرائيل»، ودعا في الاجتماعات الطارئة للجامعة العربية إلى زيادة الضغط على الغرب.

في الوقت الذي سعت فيه بعض الدول العربية إلى المصالحة أو إقامة علاقات سرية مع الغرب، تمسّك اليمن، تحت قيادة الإمام أحمد، بموقف حازم رافض لأي نحو من التواصل مع «إسرائيل». حتى بعد اندلاع حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، أي بعد سقوط «المملكة المتوكلية»، تُظهر الوثائق المتبقية من العقود السابقة أن الإمام أحمد كان من أبرز الداعمين لسياسة «الرفض القاطع لأي تطبيع».

عاصمتان يمنيتان داعمتان لفلسطين

لم يؤدِّ سقوط «المملكة المتوكلية» إلى تراجع أهمية القضية الفلسطينية في السياسة اليمنية، بل مع قيام دولتي «اليمن الشمالي» و«اليمن الجنوبي»، التزمت كلٌّ من صنعاء وعدن بدعم المقاومة الفلسطينية في مختلف المجالات السياسية وتقديم الدعم اللوجستي. لا شك أن تبني هذا النهج بوصفه سياسة ثابتة في العلاقات الخارجية كان انعكاسًا للإرادة الشعبية ونظرة الشعب اليمني إلى القضية الفلسطينية.

في نموذج على هذا الدعم، استضاف اليمن عددًا من المناضلين الفلسطينيين عقب الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢. لقد خصّص «اليمن الشمالي» لهم قاعدة باسم «صبرا» في ضواحي صنعاء، فيما قدّم «اليمن الجنوبي» قاعدة أخرى باسم «شاتيلا» بالقرب من عدن. في العام نفسه، شارك عدد من المناضلين اليمنيين إلى جانب الفلسطينيين في معركة «قلعة الشقيف» بجنوب لبنان، وكان من بينهم الشهيد عبد القادر الكحلاني، الذي شغل منصب نائب قائد القوات المتمركزة في القلعة.

دعم القضية الفلسطينية في عهد علي عبد الله صالح

بعد توقيع «اتفاقية كامب ديفيد» عام ١٩٧٨، أدانت حكومة علي عبد الله صالح بشدة هذه الاتفاقية، وعدّتها خيانة للقضية الفلسطينية، مؤكدة ضرورة إيجاد حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية. رغم الضغوط الدولية التي مورست لدفع اليمن نحو قبول مسارات التسوية مع «إسرائيل»، ظلّت صنعاء داعمةً لنضال الفلسطينيين، واتخذت مواقف حازمة تجاه الجرائم التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني. بعد الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠، حافظت الجمهورية اليمنية، تحت ضغط الشعب والنخب اليمنية، على مواقفها المناهضة للصهيونية، وأعلنت بوضوح دعمها لانتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠. مع ذلك، أدّت حرب الخليج الفارسي الأولى وتحسّن علاقات اليمن مع دول مجلس التعاون الخليج الفارسي إلى تراجع حكومة علي عبد الله صالح عن بعض مواقفها بشأن القضية الفلسطينية، إذْ أبدت مرونة تجاه حلّ الدولتين، خلافًا لرغبة الشارع اليمني. لقد شكّل هذا التراجع أحد العوامل التي زادت الفجوة بين المجتمع اليمني ونظام صالح.

حركة «أنصار الله» والتمسك بالقضية الفلسطينية

منذ تأسيسها، التزمت الحركة القرآنية التي أسسها الشهيد السيد حسين الحوثي بمواجهة مخططات الصهيونية في العالم الإسلامي والدفاع عن المقاومة الفلسطينية، وجعلت من شعار «الموت لإسرائيل» أحد شعاراتها الرئيسية. كان السيد حسين الحوثي في خطاباته في مناسبات مختلفة يوجّه تحذيرات من خطر الصهيونية على العالم الإسلامي وجرائم «إسرائيل» بحق الفلسطينيين. كما كان يؤكد رؤية الإمام الخميني (قدس) التي عدّت الكيان الصهيوني «غدة سرطانية»، وانتقدت تقصير الحكومات والمجتمعات العربية والإسلامية في مواجهة هذا الكيان. استلهمت حركة «أنصار الله» من الثورة الإسلامية في إيران وتعاليم الإمام الخميني (قدس) في ضرورة المواجهة الشاملة مع الصهيونية ورفض أي تهاون مع المشاريع الأمريكية والصهيونية التي تهدف إلى تضييع حقوق الشعب الفلسطيني. لذلك جعلت «يوم القدس العالمي» أحد أهم الرموز الشعبية لدعم القضية الفلسطينية، ومن أبرز فعالياتها السياسية والدينية. في خطابه في «يوم القدس العالمي» عام ٢٠٠١، أشار السيد حسين الحوثي إلى أن الإمام الخميني (قدس) بدأ نضاله ضد «إسرائيل» قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ورأى أن هذا الموقف كان نابعًا من تأثر الإمام بتعاليم القرآن الكريم.

استمرّت مسيرة السيد حسين الحوثي في مواجهة الكيان الصهيوني ودعم المقاومة الفلسطينية بعد استشهاده، لدى حركة «أنصار الله». لقد ترسّخ هذا الدعم في صلب العلاقة العميقة التي تربط المجتمع اليمني بالقضية الفلسطينية. أصبح اليمن، في سياق عملية «طوفان الأقصى» وجرائم الكيان الصهيوني في غزة ولبنان، من أكثر جبهات العالم الإسلامي نشاطًا في الدفاع عن فلسطين. كانت خطابات السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي الحماسية، والتظاهرات الأسبوعية التي كانت تُنظم بناءً على دعوته في مختلف مدن اليمن لدعم المقاومة الفلسطينية، الدافع الرئيسي لقادة اليمن السياسيين والعسكريين لفرض الحصار البحري على الكيان الصهيوني في البحر الأحمر، وكذلك تنفيذ الهجمات بالصواريخ والطائرات المسيّرة تجاه الأراضي المحتلة.

إرادة شعب اليمن وقيادته في مواجهة الكيان الصهيوني، التي تنبع من تعاليم القرآن الكريم التي نهجها السيد حسين الحوثي والسيد عبد الملك الحوثي، لم تتزعزع حتى بعد الهجمات الوحشية التي شنّتها الولايات المتحدة و«إسرائيل» ضد اليمن، ولا يزال الشعب اليمني وحركة «أنصار الله» من أكبر داعمي الشعب الفلسطيني ومقاومته.

سيرة شهيد

الشهيد صياد شيرازي.. معزز الوحدة بين الحرس الثوري والجيش

في مثل هذا اليوم من العام ١٩٩٩، أقدمت منظمة منافقي خلق الإرهابية على اغتيال واحد من أبرز القادة العسكريين في الجمهورية الإسلامية في إيران، وهو نائب رئيس أركان القوات المسلحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية الشهيد الفريق علي صياد شيرازي، الذي كان له دورٌ بارز في حرب الدفاع المقدس، وهو الذي ساهم بشكل كبير في إرساء الوحدة ما بين الجيش وحرس الثورة الإسلامية.

لعب دوراً بارزاً في توحيد الجيش وحرس الثورة الإسلامية

لعب الشهيد في أعوام ما قبل الثورة وفي الظروف الصعبة للغاية للكفاح في البيئة العسكرية للنظام البائد بذكاء ودراية منقطعة النظير دوراً فعالاً ومؤثراً في التربية الثورية لشباب الجيش عبر صلته بعلماء أصفهان، كما استطاع عبر إيجاده شبكة من الضباط المؤمنين والثوريين من الجيش أن يقف إلى جانب الثورة.

وكان الشهيد ومنذ الأيام الأولى للثورة قد عرف بشكل جيد خط النفاق وأصدر أوامره للمقيمين لمعرض اللجنة الإسلامية في الجيش ممن أرادوا التعريف بالوجوه الثورية بإخراج صور أقطاب المنافقين من كتاب المعرض ممن كانوا قد اصطنعوا لأنفسهم وجوهاً مناضلة وثورية. وكانت هذه المعرفة قد أدت إلى مواجهته لبني صدر وعزله في نهاية المطاف من منصبه، وبعد عزل الأخير وحلول عهد رئاسة الشهيد رجائي للجمهورية عاد الشهيد إلى الجيش ولعب دوراً فريداً في توحيد حرس الثورة والجيش وكان لهذا الاندماج عمليات ناجحة عديدة في جبهات الحرب.

وشارك الشهيد في فترة الدفاع المقدس بمواقع عسكرية في مختلف العمليات ومنها مسؤولياته في قيادة القوة البرية وممثل الإمام (قدس) في المجلس الأعلى للدفاع ومساعداً لشؤون التفتيش العام للقوات المسلحة ومساعد رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة للجيش.

تواضع يرافق التفوق العسكري

كان الشهيد مخططاً للحرب وعسكرياً يحمل فكراً نيراً ويستعين بواسطة توكله على الله بالآيات القرآنية والأحاديث والروايات في الشؤون العسكرية وكان مطيعاً لأوامر الولي الفقيه. ورغم مسؤولياته المختلفة وموقعه العسكري الرفيع لم يصب مطلقاً بالغرور وكان يتعامل مع الناس وكأنه يبدو شخصاً عادياً وقد بلغ تواضعه الحدّ الذي قلّما كان من يعرفه بأنه معاقاً حربياً بنسبة ٧٠٪.

معراج الشهادة

وأخيراً وبعد عمر أمضاه في الجهاد في سبيل الله قد استشهد في صباح يوم ١٠ نيسان / أبريل من العام ١٩٩٩، على يد مسلحين من تنظيم «منافقي خلق»، أمام باب منزله الكائن في طهران وأمام نجله. ودفن في مقبرة جنة الزهراء (ع) بحضور سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي وكبار القادة العسكريين والمسؤولين.